الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٩م

في الجلسة السنوية للجماعة في ألمانيا

******

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في العالم الماضي لم تُعقد الجلسة السنوية في ألمانيا وفي كثير من بلاد العالم الأخرى أيضا بسبب القيود المفروضة نتيجة انتشار وباء الكورونا. فنحمد الله على أن هذه القيود أصبحت الآن في طور التخفيف رويدا رويدا، وبالنتيجة وفّقت الجماعة في ألمانيا لعقد جلستها السنوية. لم تُعقد هذه الجلسة على نطاق واسع كسابق عهدها ومع ذلك ستروي الغليل الروحاني إلى حد ما. كما نعلم ونسمع مرارا وتكرارا أن الهدف من عقد الجلسات والاجتماع في مكان واحد هو التقدم في الروحانية والسعي لهذا الغرض، ولإصلاح أنفسنا وخلق التغيرات الحسنة فينا، والتقدم في التقوى بالعيش في أجواء روحانية، وإن لم يتحقق هذا الهدف من الجلسة فلا معنى لها. من المعلوم أن الإنسان بحاجة إلى التذكير، فبعقد الجلسات كل عام وبالعيش في جو روحاني لثلاثة أيام، وبلقاء الإخوة والأخوات، وتبادل الأفكار الحسنة ينال الإنسان تقدما دينيا وروحانيا. فآمل أنكم قضيتم هذين اليومين (لأن الجلسة هذا العام عُقدت ليومين فقط) واضعين هذه الأمور في الحسبان. لو تحقق أملي هذا لأصبنا حتما الهدف من عقد الجلسة. لقد جمع كل أحمدي من ألمانيا مائدة روحانية لعام كامل سواء أَحضَرَ مكان الجلسة للاستماع إلى برامجها أو سمعها في بيته، والآن عليه أن يعمل بما قيل فيها ويجب أن يجعله جزءا من حياته لا يتجزأ. فعلى كل واحد أن يقضي حياته واضعا هذا الأمر في الحسبان وإلا لا يمكننا القول بأننا نحاول الحصول على التقوى والتغيّر الحسن الذي من أجله اشتركنا في الجلسة.

اليوم سوف أسرد بعض الأمور حول موضوع التقوى لتكون أهميتها راسخة في قلوبكم عند مغادرتكم هذا المكان. ما هي التقوى؟ لقد ذكرها الله تعالى في عدة آيات في القرآن الكريم. فلو أدركنا روح التقوى في ضوء كلام الله تعالى لكنّا من الحائزين على قرب الله تعالى، ولصلحتْ دنيانا وأخرانا. ومن حسن حظنا أننا آمنا بإمام الزمان، المسيح الموعود عليه السلام الذي نصحنا في أماكن عديدة في ضوء أوامر القرآن الكريم بقضاء الحياة سالكين مسلك التقوى. ذات مرة نظم المسيح الموعود عليه السلام شطرا في الأردية

ما معناه: إن جذر كل حسنة هو التقوى، فأوحى الله تعالى إليه شطرا آخر ما معناه: لو بقي هذا الجذر قائما لبقي كل شيء.

باختصار، نحن ندّعي بيعة المسيح الموعود عليه السلام، وإذا أردنا أداء حق البيعة في الحقيقة، فلا بد أن نزرع هذا الجذر في القلوب ليحمل كل من أعمالنا ثمرات التقوى الحلوة وإلا سيكون ادعاؤنا ادعاء فارغا تماما. ولن يتقوى إيماننا ما لم يكن ظاهرنا وباطننا سِيَّيْن. فلنتذكر أنه إذا كان جذر التقوى قويا سيتقوى جذر الإيمان أيضا وإلا لن نقدر على مقاومة هجوم الشيطان. من المعلوم أيضا أن الشيطان سيواصل هجماته على أية حال، وقد قال ذلك منذ خلق آدم عليه السلام، ومقابل ذلك قال الله تعالى أن عبادي الذين يسلكون مسالك التقوى سيجتنبون هجمات الشيطان. نرى في هذه الأيام أن الشيطان لا يترك فرصة تفلت لإبعاد الإنسان من الدين والتقوى والإيمان.

فيجب على كل واحد أن يدرك حقيقة التقوى، وكيف يمكننا اجتناب هجمات الشيطان وكيف يمكن أن نحافظ على إيماننا وتقوانا. وكما قلت قبل قليل إن المسيح الموعود عليه السلام وجه أنظارنا إلى هذا الأمر مرارا وتكرارا. وقد بيَّن الله تعالى في القرآن الكريم أيضا في عدة أماكن ماهيَّة التقوى وكيف يجب علينا العمل بها، وذكر أيضا وسائل الحصول على التقوى. وقد أكّد المسيح الموعود عليه السلام على هذا الأمر بوجه خاص في ضوء أحكام القرآن الكريم، وقال بأن عليكم أن تؤدوا حق عبادة الله تعالى لأنها هي الهدف من خلق الإنسان وهي التي تزيد المرء إيمانا وتُقى بشرط أن تكون العبادة بإخلاص القلب وليس أن يصلّي المرء كأنه يزيل العبء عن نفسه. والذي يؤدي حق عبادة الله يبارك الله في كل عمل من أعماله. في هذه الأيام نرى أن مغريات الدنيا وأمانيها محيطة بالإنسان ويشن الشيطان هجمات من كل حدب وصوب ويحاول لإبعاد الإنسان من الله تعالى. ففي هذه الظروف يجب على كل أحمدي أن يسعى جاهدا لنيل قرب الله تعالى. وأمثل سبيل لتحقيق هذا الهدف هو عبادة الله. يقول المسيح الموعود عليه السلام إن عدم أداء حق عبادة الله شيمة الكفار، وإن حياتهم كمثل حياة الحيوانات بسبب عدم أدائهم حقوقه عز وجل. فيجب على كل مؤمن وكل من يدّعي قوة إيمانه نتيجة الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام أن يسعى جاهدا لأداء حق عبادة الله بوجه خاص. يقول عليه السلام:

لقد ذكر الله تعالى في سورة العصر نماذج حياة الكفار والمؤمنين. فحياة الكفار كحياة الأنعام التي لا شغل لها سوى الأكل والشرب وإشباع الأهواء الشهوانية: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. ولكن لو أكل الثور العلف ثم ألقى بنفسه على الأرض عند الحراثة، فماذا عسى أن يكون مصيره؟ سيأخذه الفلاح إلى المجزرة ويبيعه للجزار. كذلك يقول الله تعالى عن الذين لا يتبعون أوامره ويقضون حياتهم في الفسق والفجور: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، أي لِـــمَ سيكترث الله بكم إن لم تعبدوه؟ ألا اسمعوا بقلوب واعية أنه لا بد من الحب لعبادة الله، والحب قسمان: أحدهما الحب الذاتي والآخر الحب النابع

عن الأطماع، أي يكون وراءه دوافع آنية، فيفتر فور زوال تلك الدوافع مسفرًا عن ألم وحزن، غير أن الحب الذاتي يخلق السعادة الحقة. وما دام الإنسان مفطورا ليكون لله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾، فقد أودع اللهُ فطرتَه شيئا لنفسه هو، وخلَقه لنفسه هو سبحانه وتعالى بأسباب خفية جدًّا، مما يوضح أن الله تعالى قد جعل غاية خلقكم الحقيقية أن تعبدوه، ولكن الذين يعرضون عن هذه الغاية الأساسية الفطرية ويجعلون غاية حياتهم الأكل والشرب والنوم كالأنعام فإنهم يبتعدون عن فضل الله تعالى، ولا يكون الله مسؤولا عنهم. إن الحياة التي هي حياة المسؤولية إنما أن يغير منحى حياته مؤمنا بقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾، لأن الموت يأتي مفاجئا. نِعْمَ ما قال السعدي في بيت شعره ما معناه:

أي: لا تَثِقْ بالحياة الفانية، ولا تأمن صروف الدهر.

ثم يقول عليه السلام موضحا أن الاتكال على الحياة الفانية ليس من دأب العاقلين:

الاتكال على الحياة الفانية ليس من دأب العاقلين، فإن الموت يأتي المرء فجأة ويصرعه من حيث لا يحتسب. وما دام الإنسان واقعا في قبضة الموت على هذا النحو فمنذا الذي يمكن أن يضمن حياته من دون الله تعالى. أما لو صارت عيشة المرء لله تعالى فإنه سوف يحفظه. هناك حديث في صحيح البخاري معناه: إذا أحب العبد ربه سبحانه وتعالى كان الله جوارحه. وفي رواية أنه يصل في ولاية الله بحيث يصبح الله يده ورجله وما إلى ذلك حتى يكون لسانه الذي يتكلم به. الواقع أن الإنسان إذا تطهَّر من أهواء النفس وسار ضمن إرادات الله تماما متخليا عن نفسانيته، فلا يصدر منه أي فعل غير جائز، بل يصبح كل فعل له موافقًا للمشيئة الإلهية، وفوق ذلك يعدّ الله تعالى أفعاله أفعالاً له ﷻ.

(أي يقول الله تعالى إن أعمال الذي يتقي الله إنما تُعَدّ مثل أعمال الله تعالى)

الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الله وقد قال المسيح الموعود عليه السلام حول هذا الموضوع بعد شرح سبق: اعلموا أن الغرض من خلقكم هو أن تعبدوا الله وتكونوا له وحده. يجب ألا تكون الدنيا أكبر همكم. أقول لكم هذا مرة بعد أخرى، لأنني أرى أن هذا هو الأمر الذي خُلق الإنسان من أجله، وهو الأمر الذي ابتعد عنه الإنسان. لا أقول لكم أن تتخلوا عن أعمال الدنيا، وأن تقصدوا الفلوات والجبال معرضين عن الأهل والأولاد. كلا! بل إن الإسلام لا يجيز ذلك، ولا يهدف إلى الرهبانية.

لقد أراد الإسلام أن يكون الإنسان نشيطا ومجتهدا ومجدا، لذا أقول عليكم أن تنجزوا أعمال دنياكم بجد واجتهاد. ورد في الحديث أن من كانت عنده أرض ولم يعمرها فهو مؤاخذ عند الله تعالى. (إذا كان هناك فلاح ويملك أرضا ولا يعمل عليها بشكل صحيح فسوف يُسأل) فمن فهم من قولي هذا أن عليكم أن تتخلوا عن أمور دنياكم فهو مخطئ. كلا، إنما أعني أن تروا ما إذا كان رضا الله تعالى في كل ما

تقومون به من أعمال الدنيا، وألا تؤثروا مآربكم وأهواءكم على إرادته ومشيئته تعالى. (اعملوا ولكن بحسب أوامر الله تعالى ولا يقعوا في المادية وأدوا حقوق الله أيضا، هذه هي التقوى)

قال عليه السلام: أما إذا كانت غاية المرء أن يعيش منغمسا في ملذات الحياة جاعلا الأكل والشرب والثياب والنوم منتهى إربه، بحيث لا يبقى لله مكان في قلبه، فاعلموا أنه يريد أن يقلبَ فطرةِ الله، (أي يعمل ضد الفطرة التي فطره الله عليه) وسيكون مآله أنه سيجعل قواه عديمة الجدوى بالتدريج. فالبَدَهِيِّ أننا لو اشترينا شيئا لهدف ما، و لم يحققه، نعُدّه عديم الجدوى، فلو اشترينا الخشب مثلا لصنع كرسي أو طاولة، ثم ثبت أنه لا يصلح لذلك فسوف نستخدمه حطبًا، كذلك فإن غاية خلق الإنسان الحقيقية إنما هي عبادة الله ولكن إذا قلب أحد فطرته بأسباب وعلاقات خارجية وأفسدها، فلا يعبأ به الله تعالى. وهذا ما تشير إليه الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. قال عليه السلام: "لقد رأيتُ في الرؤيا أنني واقف في فلاة وأن هناك قناة طويلة شرقا وغربا، ملقاة عليها الشياه، وبيد كل جزّار مكلّف بذبح شاةٍ سكّينٌ وقد وضعها على عنقها موجهًا وجهه إلى السماء، وأراني أتمشى قربهم، وفهمتُ برؤية هذا المشهد أنهم ينتظرون أمرًا من السماء، عندئذ تلوت هذه الآية نفسها: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، وما أنْ سمع الجزّارون الآية إلا ومرّروا سكاكينهم قائلين: ما أنتِ إلا شياه آكلة النجاسة. باختصار، إن الله تعالى يعبأ بحياة المتقي وبقاؤه عزيز عليه، ولكن الذي يخالف مرضاة الله فإنه تعالى لا يعبأ به ويلقيه في جهنم، لذا يجب على الجميع أن يحرر نفسه من عبودية الشيطان. وكما أن الكلوروفورم يُنوّم الإنسان كذلك فإن الشيطان يهلكه وينوّمه نومة الغفلة، ثم يهلكه خلالها."

إنه لمقام خوف لذا ينبغي أن يفهم كل واحد منا غايةَ خلقه ومن ثم يسعى لأداء حق الله، ويحسن عباداته. وألا تُغفلنا رفاهية أوروبا أو الدول المتطورة عن غاية خلقنا. إذا كنا كذلك -لا سمح الله- فإننا لم نؤدِّ حق بيعتنا. فالأمر الأول والأساسي هو أن نؤدي حق خالقنا وبذلك نحسن دنيانا وعقبانا، ثم نسعى للعمل بأحكام الله تعالى الأخرى، والحق أن المرء لو فهم حقيقة العبادة لتمكن من أداء الواجبات الأخرى تلقائيا. وأذكر هنا بعض الأمور الأخرى المتعلقة بإحراز التقوى التي بيَّنها المسيح الموعود عليه السلام. فقال عليه السلام موضحا من هو المتقي:

الحقّ أن للمتقين وعودا عظيمة، وما أدلَّ على ذلك من أن الله تعالى يصبح وليا للمتقين. قال حضرته: إن الله تعالى بيّن علامة للمتقين، فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي أنه تعالى ينصر المتقين. ونصرة الله لهم هي الدليل على معية الله لهم. ثم قال عليه السلام: اعلموا أنّ النّجّس والفُسَّاق لا يحظَون بنصرة الله ولا تنالهم، إنما مدارها التقوى. إن عون الله للمتقي فقط. ثم هناك طريقا آخر لمعرفتهم وهو أن الإنسان عرضة للشدائد والمصائب وشتى الحاجات، وقد جعل الله تعالى كشف الشدائد وسدّ الحاجات منوطا بالتقوى نفسها. إن سبيل النجاة من ضيق المعاش وغيرها من الشدائد إنما هي التقوى، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.. أي يجعل الله تعالى للمتقي مخلَصا من كل مشكلة أو صعوبة، ويهيئ له من الغيب أسباب الخلاص ويرزقه من حيث لا يدري.

ففكروا الآن ماذا يريد الإنسان في هذه الدنيا. وأكبر أمنية للإنسان في الدنيا أن يعيش براحة وسكينة، وقد جعل الله لذلك سبيلا واحدا، وهو سبيل التقوى. وبتعبير آخر، سبيل القرآن الكريم، أو ما يسمى الصراط المستقيم. ولا يظنن أحد أن الكفار أيضا يملكون المال والثراء والعقارات وأنهم يعيشون عيشة راحة وسكينة، كلا، الحقّ والحق أقول: إنهم يعيشون مسرورين في أعين الدنيا، بل في أعين الماديين الحقيرين الناظرين إلى ظاهر الأمر، بينما الحقيقة أنهم يقاسون حرقة وألمـًا. إنكم تنظرون الى صورهم، ولكنني أنظر إلى قلوبهم. (لا شك أن الإنسان لو تأمل ولاقى مثل هؤلاء الناس لعلم أنهم ليسوا في راحة بل الثروة أشعلت نارا في داخلهم ولا يحظون براحة القلب) قال عليه السلام: إنهم مقيدون في سعير وسلاسل وأغلال، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان:٥)،

إنهم لا يستطيعون أن يرجعوا إلى الخلف، بل يرزحون تحت وطأة أغلال بحيث لا يستطيعون النظر إلى الله، ويصبحون أسوأ من الحيوانات والبهائم. أنظارهم مصوَّبة إلى الدنيا كل حين، ويُخلدون إلى الأرض دائما، ويحترقون في بواطنهم حرقة ولوعةً مستمرة. فإذا أصابتهم خسارة مال، أو فشلت جهودهم في تحقيق ما أرادوا، فيلتاعون ويحترقون كمدا حتى يصابوا بالجنون أحيانا ويترددوا إلى المحاكم قلقين. (إنه ليس شيئا من الماضي، اليوم أيضا حين يفلس الأثرياء يصبحون مجانين ويصلون مشافي المجانين) الحق أنّ غير الملتزم بالدين لا يخلو من السعير، فلذلك لا يقرّ له قرار ولا تتيسر له السكينة التي هي نتيجة حتمية للراحة والاطمئنان، فكما أنّ مدمن الخمر لا يزال يطلب كأسا بعد كأس، ويشعر بحرقة، كذلك يكون غير الملتزم بالدين في سعير ولا تخمد نار جشعه لحظة واحدة. إن الرخاء الحقيقي إنما يتيسر للمتقي وحده الذي وعده الله تعالى بجنتين. جنة في هذه الدنيا وجنة في الآخرة.

ثم شرح عليه السلام مزيدا وقال: "إن مدار الراحة والسعادة الحقيقية على التقوى، ويمكن أن ينال المتقي في الكوخ السعادة الحقيقية التي لا يمكن أن ينالها الشخص المادي الجشع في قصره المنيف. (لأن المتقي يكون قانعا فينال السعادة في الكوخ أيضا لأنه يفوز بالله تعالى والله يمنح قلبه طمأنينة، ولكن الشخص المادي يكون في قلبه طمع وجشع لذلك لا ينال طمأنينة القلب مع أنه يقيم في القصور والفيلات الكبيرة ويملك سيارات وتجارات جيدة، وإنني أعرف بعضهم شخصيا وأمثالهم) قال عليه السلام: كلما نال المرء الدنيا زادت بلاياه، فتذكروا أنّ الراحة الحقيقية واللذة الحقيقية لا يمكن أن يحظى بها الماديون. لا تظنوا أن المال الكثير والثياب الفاخرة والأطعمة الشهية تجلب السعادة، كلا، فإن مدار السعادة التقوى."

إذا كان المرء يحظى بالتقوى استفاد من جميع نِعَم الله تعالى، وإذا لم يكن هنالك التقوى أصبحت هذه النعم كلها سببا لحرقه في النار. لعل شخصا ماديا يقول بعد سماع هذه الأمور: من العجيب القول بأنه لا راحة في أشياء الدنيا، إننا نراها مصدر راحة. لا بد أن يقول الشخص المادي ذلك ولكن لو قلنا له بالله عليك افحص قلبك هل أنت تقول الحق؟ فسيقول إننا نتمنى المزيد من المال والراحة وهذه الأمنية تزداد باستمرار، وهذه هي النار التي تحرقهم. قال المسيح الموعود عليه السلام مفصلا الموضوع أكثر:

"فلما ثبت من ذلك كله ألا راحة وسعادة بدون التقوى الحقيقية فاعلموا أن للتقوى شعبا كثيرة، تتشعب كخيوط العنكبوت. التقوى ذات صلة بجوارح الإنسان كلها وعقائده ولسانه وأخلاقه وغير ذلك." (جميع خصائص الإنسان ومعتقداته ولسانه وأخلاقه وقواه كل هذه الأشياء متعلقة بالتقوى، وأُمر باستخدام جميع هذه الأشياء بالتقوى).

وقال عليه السلام: إنّ أمر اللسان أشدُّ خطورةً. (أي إذا كان الكلام باللسان فقط بدون التقوى فالأمر جد خطير). يتفوه المرء أحيانا بكلام متخليا عن التقوى ويفرح في قلبه أنه قال كذا وكذا، مع أنه يكون قد قال قولا سيئا. (وقال المسيح الموعود عليه السلام): تذكرتُ هنا حكاية أنّ أحدا ممن يحبون الدنيا دعا أحد الصالحين إلى الطعام، وعندما جاء الرجل الصالح للمأدبة قال مضيفه المتكبر المتهافت على الدنيا لخدمه: ناوِلْني تلك الصينية التي جئتُ بها عندما ذهبتُ إلى الحجّ أول مرة، ثم قال له: ناوِلْني الصينية الأخرى التي أحضرتها في حجتي الثانية، ثم قال أحضِر لي الصينية الثالثة التي أحضرتها في الحجة الثالثة. فقال الرجل الصالح لهذا الحاج بالاسم: إن حالتك مأساوية جدا، فقد ضيعتَ في هذه الجمل الثلاث حجاتك الثلاث. (أي قمت بحجاتك هذه رياءً للناس و لم تحجّ إلا من أجل الدنيا) إذ ما قصدتَ بقولك هذا إلا الإخبار أنك حججتَ ثلاث مرات. ومن أجل ذلك قال الله تعالى احذروا في استخدام اللسان حذرا شديدا، وأَعْمِلوا العقل قبل الكلام باللسان. ثم يقول عليه السلام: ولذلك قد أمَرنا الله تعالى بإمساك اللسان والاحتراز من التفوه بتافه الكلام الذي لا حاجة به، أو من الكلام في غير محله.

انظروا كيف أن الله تعالى قد علّمنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولكن لما كان من المحتمل أن يغترّ الإنسان بقوته وقدرته ويبتعد عن الله تعالى، فعلّمنا الله بعد ذلك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. وكأنه تعالى يقول: لا يظنن أحدكم أن العبادة التي يقوم بها إنما يقوم بها بقوته وقدرته هو. كلا، بل لا يستطيع الإنسان فعل شيء من دون عون الله تعالى وتمكينه وتوفيقه.

ثم لم يعلّمنا الله تعالى "إياك أعبد" أو "إياك أستعين"، ذلك لأنّ مثل هذا الكلام تُشتمّ منه رائحة تقديم النفس على الآخرين، وهذا خلاف التقوى. والمتقي يهتمّ بالجميع، (أي أن المتقي إذا دعا من أجل الصالحات فإنه يضم معه كل الناس).

ثم قال عليه السلام: باللسان نفسه يبتعد المرء عن التقوى، وباللسان يتكبر، وباللسان يتصف بالصفات الفرعونية، وباللسان يجعل أعماله الخفية رياءً. (أي يعمل أعمالا حسنة ثم يظهرها للناس ويرائي، كما مر آنفا في قصة الحاج الذي حج ثلاثا، وأخبر عن حجاته الثلاث عند طلبه الصواني من خادمه. هذا هو الرياء).

ثم يقول عليه السلام: إن ضرر اللسان سريع الظهور جدا. ورد في الحديث الشريف أنّ مَن يضمن لي شرَّ ما تحت سُرّته ولسانه فإني أضمنُ له الجنّةَ. إن أكل الحرام لا يضرُّ بقدر ما يضرُّ قولُ الزور، (ثم وضح حضرته هذه الجملة وقال): ولكن يجب ألا يفهمنّ أحد من ذلك أن لا ضير بأكل الحرام، وإنْ فهمَ أحد قولي هكذا فهو يخطئ خطأً فادحا. وإنما أقصد بذلك أن أحدا إذا أكلَ لحم الخنزير اضطرارا فهذا أمرٌ آخر، (أي أن القرآن الكريم قد أجاز أكل لحم الخنزير في حالة الاضطرار أي إذا كان المرء يموت جوعا فيجوز له أكل لحم الخنزير. لا ضير في ذلك بل هو جائز) ولكنه لو أفتى أحد بلسانه أن لحم الخنزير حلال فإنه يخرج عن الإسلام بعيدا؛ إذ يُحِلُّ ما حرّم الله. (يقول المسيح الموعود عليه السلام إن قصدي من قولي هذا هو أن أكل لحم الخنـــزير عند الجوع الشديد للموشك على الموت أمرٌ اضطراري وجائز، ولكن أحدا لو أفتى بأكل لحم الخنـــزير بدون اضطرار فقوله هذا سيبعده عن الإسلام حيث يخالف تعاليمَ الإسلام. إن الله تعالى قد حرم ذلك، فكيف يمكنه أن يحل ما حرم الله تعالى، ولذلك قد خرج عن الإسلام بعيدا).

باختصار، لقد تبين من ذلك أنّ ضرر اللسان خطير جدا، ولذلك يمسك المتقي لسانه جدا، فلا يتفوه بما يتنافى مع التقوى. فتَحكَّموا بألسنتكم، بدلاً من أن تتحكم بكم، فتتفوهوا بكلام سخيف باطل.

هذه هي المعايير التي يجب أن نسعى لبلوغها. علينا أن نرى كيف نتصرف في معاملاتنا اليومية. كيف نتكلم، وبماذا نتكلم، وكيف نتبادل الحديث، وكيف نتحاور في تجاراتنا أو في أي أمر آخر يدور الحديث حوله فيما بيننا. إذا كنا نستخدم ألسنتنا استخداما خاطئا، فإننا نبتعد عن تعاليم الإسلام وعن التقوى. وبالإضافة إلى أداء حقوق الله تعالى يجب أن نرى ما هي الحقوق التي نؤديها بعضنا لبعض وإلى أي مدى نؤديها. إذا كنا نؤدي حق العبادة لله تعالى فعلينا أن نراعي حقوق الناس أيضا، ونرى كيف نتعامل بعضنا مع بعض. وعندها سنهتدي إلى السبل الصحيحة للتقوى أيضا. من واجبنا أن نفحص مدى تعايشنا معًا بمحبة ومودة، ومدى سعينا لاجتناب الكِبْر، ومدى سلوكنا سبلَ التواضع، ومدى سعينا للوفاء بعهودنا، ومدى جهودنا لإرساء الصدق والحق، لأن توطيد الصدق هو الذي يمكن أن يطهّرنا من الشرك. وأن نرى ما هي مساعينا لحماية أولادنا وأجيالنا القادمة لكي يظلوا متحلين بالتقوى ويسعوا هم الآخرون للعيش وفقًا لأوامر الله وأحكامه.

فلا مناص لنا من فحص كافة أمورنا من هذا المنطلق، وأن نرى ما إذا كنا نعمل الحسنات التي أمرنا الله بها وننتهي عن السيئات التي نهانا عنها. إذا كنا نعمل هكذا فإننا سائرون على سبل التقوى يقينا. لا ينبغي لنا أن نضيع حياتنا عبثا، بل يجب أن يدفعنا كل قول وفعل لنا إلى الصراط المستقيم. يجب أن تكون المحبة المتبادلة بيننا بحيث تميز كل مؤمن عن غيره. ينبغي أن نضرب أروع الأمثلة في كل مجال بدءًا من معاشرتنا في بيوتنا إلى علاقاتنا العامة في المجتمع، ويجب أن تكون نماذجنا هذه مشهودة للناس. أما بدون هذه النماذج فلن يسود السلام البيوتَ ولا المجتمعَ.

ولو أَمْعَنّا النظر في هذا الأمر وجدنا أن سوء الظن هو الذي يدمّر الأمن والسلام. وإن سوء الظن أيضا من السيئات الكبيرة. يلقي بعض المفسدين سوء الظن في القلوب حينما يتكلمون بكلام يولِّد سوء الظن في النفوس، والشخص العجول يوقن بما قالوا بدون تفكير.

أو ينشأ سوء الظن لأن البعض لا يتمكنون من شرح موقفهم للآخرين على وجه صحيح، ولذلك قد عدّ الله تعالى سوء الظن سيئة كبيرة جدا، لأنه يدمر أمن وسلام المجتمع، وبناء على هذا الأمر الإلهي قد قال النبي ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا". وقد ذكر النبي ﷺ كثيرا من المعاصي ونهى عنها، لأنها تدمر سلام المجتمع، فقال: لا تَحاسَدوا، أي إذا رأيتم شيئا جيدا عند أخيكم فلا تطمعوا في الاستيلاء عليه. الحسد يعني أن يرى المرء عند غيره شيئا جيدا فيريد أن ينتزعه منه أو يرى رُقِيَّ أخيه فيعيقه، فقال ﷺ: لا تتحاسدوا. ولا بأس في التنافس والتسابق، ولكن لا تسعوا للإضرار بالآخر بانتزاع ما عنده. ثم قال ﷺ: ولا تباغضوا، أي تعادوا غيركم. الواقع أن التدبر يكشف لنا أن العداوات تنشأ نتيجة سوء الظن عادة. ثم قال ﷺ: ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، أي لا يعرض أحدكم عن الآخر، بل كونوا عباد الله الحقيقيين. أي كونوا عباد الرحمن، وليس عباد الرحمن إلا الذين يؤدون حقوق الله كما يؤدون حقوق خلْقه أيضا عملاً بأوامره تعالى. فالمرء إذا سعى ليكون عبدا لله تعالى، فمن المحال أن يقع في المساوئ. ثم قال النبي ﷺ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ.

والمراد من ذلك أن التقوى الحقيقية تكمن في القلب المطهر للنبي ﷺ أكثر من أي شخص آخر. ولكن تذكّروا أن هذا القول يعني أيضا أن القلب هو مكان التقوى، ومَن أدرك أن عليه أن يملأ قلبه بالتقوى، فيستحيل أن يفكر في فعلِ ما يؤدي إلى البغضاء والعداء أو يفكر في غصب مال غيره. لذا فعلينا أن نفحص أنفسنا لنرى ما إذا كانت قلوبنا عامرة بالتقوى، أم فيها أهواء أنفسنا. إذا كانت قلوبنا لا تكنّ احترامًا للآخرين وليس فيها عاطفة أداء حقوقهم، فاعلموا أن قلوبنا خالية من التقوى، ومهما صلينا وعبَدْنا فلن نكون من أهل التقوى عند الله تعالى. انظروا بأي دقة وعظَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بهذا الشأن إذ قال: بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. ثم قال ﷺ: ثلاثة أشياء للمسلم: حرامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ.

ولكن نرى اليوم أن هذه الأشياء الثلاثة نفسها قد أحلّها كثير من المسلمين على أنفسهم، بل إنهم يزعمون أنهم حملة لواء علوم الدين ومع ذلك يقعون في هذه المنكرات باستمرار. إن أكل أموال الآخرين أصبح شيمة كثير من الناس ومع ذلك يدّعون بأنهم المسلمون الحقيقيون. ولكن مثل هذه الأعمال لهؤلاء المسلمين ينبغي أن تجعل الأحمديَّ -أي المسلم الحقيقي الذي وُفّق لبيعة المسيح الموعود عليه السلام وهذه منة الله تعالى عليه أنه وفقه لذلك- يجنّب نفسه منها. فإذا كان أحدنا يخون في أموال الناس فإنه آثم وبعيدٌ عن التقوى حتى ولو لم يرتكب سيئات أخرى. فإنه مقام خوف كبير، وهناك حاجة ماسة إلى أن يحذر الإنسان عند كل خطوة وإلا فإن الله غني عنا، وكما أن الله تعالى لا يأبه بمن لا يؤدي حق الله أو حق عبادة الله تعالى كذلك فلا يأبه بمن لا يؤدي حقوق العباد أيضًا. قال النبي ﷺ: إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ. فلذلك هناك حاجة ماسة لنفحص قلوبنا حتى نرى ما بداخلها، ولنعلم هل فيها تقوى الله وخشيته أم أنها أهواء الدنيا والأماني لتحقيق هذه الأهواء ولو بطرق غير شرعية. فإن لم تكن قلوبنا صافية وطاهرة كليا وإذا كنا لا نؤدي حقوق الآخرين مؤثرين أنفسنا عليهم فإننا بعيدون عن التقوى، وستكون نتيجة هذه الحالة تدمير سلام المجتمع. فهناك حاجة لمحاسبة أنفسنا لنرى ما إذا كنا نريد أن نُعدَّ من المدمرين لسلام المجتمع والنائلين لسخط الله تعالى أم من الذين ينالون رضى الله تعالى. لقد ذكر الله تعالى علامةً لمن يبتغون مرضاة الله تعالى وهي أنهم لا يتكبرون. إن التكبر مرض سيئ للغاية وينبغي أن يسعى الجميع لاجتنابه. وإذا بحثنا عن أسباب التكبر رأينا أكبرها التفاخر والتباهي، وهو أن يعدّ أحد نفسَه شيئًا ويتفاخر بشخصيته وبقومه وبثروته وبعلمه وبأولاده بأنه أنجب أولادًا كثيرين وأنهم أذكياء ومثقفون، وما إلى ذلك. وإن مثل هذا التفاخر أو عدّ النفس أفضلَ من الآخرين يزرع في الإنسان بذرة التكبر، والحقيقة أن هذه الأمور ليست مما يعدّ فخرًا للإنسان عند الله تعالى، ولا يعدّ محكًّا لاعتبار أحد أفضل من غيره، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤). فإن الأمور الدنيوية لا تعدّ محكًّا عند الله تعالى لاعتبار أحد معززًا أو مكرّمًا. وإذا كان الأمر كذلك فبمَ يتفاخر الإنسان؟ ومما يدعو إلى التفكير أنه إذا كان هناك شيء يجعل أحدًا مكرمًا عند الله تعالى فهو التقوى، فبم يتفاخر بدونها؟ ومن يسلك سبيل التقوى ويكتنف خشية الله تعالى في قلبه فلا يمكن أن يخطر بباله أنه معزز ومكرّم، لأن خشية الله تعالى والالتياع لنيل قرب الله تعالى يجعلانه يفكر دوما كيف ومتى يمكنه الحصول على محبة الله تعالى.

بمَ يتفاخر الإنسان الذي ليس أكثر من فرد من مخلوقات الله تعالى القاطنة في هذه الأرض التي لا تعدو ذرة صغيرة في هذا الكون، فبم يتفاخر الإنسان ويتكبر على هذا الوضع؟ ثم لو نظرنا إلى ما هو موجود

على الأرض فلا يسع الإنسان بلوغ مشاهد القدرة الإلهية عليها التي تتراءى لنا. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء ٣٨)، فهل للإنسان قدرة على مقاومة الآفات السماوية عند نزولها؟ بل إن المتكبرين أيضا لدى تعرضهم لهذه المصائب يبكون كالأطفال. لقد أحدثت الأمطار الغزيرة دمارًا في ألمانيا في الفترة الأخيرة، ولقد رأيت كبار رجالاتها الذين كانوا يظهرون على التلفاز والذين كانوا يظنون في السابق أنهم في مأمن من كل هذه المصائب ولا يمكن أن يضر بهم شيء –فقد أخبرهم الله تعالى أن الذات الحقيقية الباقية هي ذات الله تعالى– وأولئك الذين كانوا يقدرون على إطعام الناس سابقًا أصبحوا يستجدون رغيفًا لهم واقفين في الطوابير.

فبم يتكبر الإنسان وقد أخبره الله تعالى بأنه ليس في الإنسان شيء يعظّمه ويكبّره. فعلى الأحمدي أن يتذكر دومًا أمر الله تعالى بخلق التواضع في النفس، ويخبرنا الله تعالى بأنكم بتواضعكم ستنالون محبته.

ولقد أنذر النبي ﷺ أيضا المتكبرين إنذارًا شديدًا، فقد قال: لَا يُدْخِلُ اللهُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يستخدم أشياء نفيسة وطيبة، وإذا كان الله تعالى أنعم عليه برغد العيش فإنه يريد أن يستخدمه لنفسه ويحب أن يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، قَالَ ﷺ: ليس من الكبر أن يستخدم أحد نعم الله تعالى بطريقة حسنة ويُظهر على نفسه أثر نعمته تعالى، بل إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، فإنه يحب كل ما هو جميل ويحب النظافة والأناقة، لذلك فلا تُمنَعون من استخدام هذه الأشياء، ولكن الْكِبْرِ هو بَطَرُ الْحَقِّ والأنفة والعناد أو تعظيم الإنسان نفسه وتعصبّه، وَغَمْطُ النَّاسِ حقوقهم وازدراؤهم واحتقارهم ومعاملتُهم بالسوء.

وعليه فينبغي ألا يكون فيكم التكبر، يقول المسيح الموعود عليه السلام موضحًا هذا الموضوع أكثر: "إن الذي يُصحّح كلمة خاطئة لأخيه بِكِبْر، قد نال نصيبا من الكبر."

إنه لأمر صغير أن يصحح أحد كلمة غيره أو إحدى جمله، ولكن إن شابت هذا التصحيح رائحة الكبر فإنه سيُدعى متكبرًا.

قال حضرته عليه السلام: "والذي لا يريد الإصغاء إلى أخيه بلطف وأدب، ويشيح بوجهه عنه، قد نال نصيبا من الكبر."

فإن لم تسمعوا كلام الآخرين بإصغاء فهو أيضا نوع من التكبر. هذه هي أدق سبل التكبر، وإننا بحاجة ماسة إلى أن نفحص كل عملنا بدقة وعمق، فإن لم نفحص أعمالنا بهذا العمق فإننا نبتعد عن الجنة وفق قول النبي ﷺ، وننال سخط الله تعالى. اعلموا أنه ليس المؤمن الحقيقي إلا الذي يكون متواضعًا أشد التواضع، وإن تواضعه هذا يجعله يستقيم بالتقوى. إنما يمكن لأصحاب القلوب التي تتحلى بالتقوى الحفاظ على أنفسهم وعلى ذراريهم، كما يمكنهم إقامة السلام في المجتمع.

إن التكبر هو السبب في حدوث الفساد في علاقات الزوجين، لأن الزوج يقول بأن زوجتي تكلمت معي بهذه الطريقة، كيف لها أن تجرؤ على مثل هذا الكلام أمامي؟ لأن الزوجة إذا كانت تتفاخر بعائلتها أو بثروتها فإنها تذكّر بها زوجها حيثما وجدت الفرصة. باختصار، ما لم يحرص كلاهما على الاستماع إلى الطرف الآخر بكل تواضع لا يتولد الحب والمودة في العلاقات. وما لم يعتد الإنسان على غض الطرف عن أقوال الطرف الآخر وتصرفاته لا تتحسن العلاقات، ولا ينشأ الاهتمام بحقوق الطرف الآخر إلا عندما يتولد التواضع والنفور عن التكبر والبعد عنه. على أية حال، لقد نبّهنا الله تعالى كثيراً إلى تحسين أخلاقنا وأداء حقوق بعضنا البعض الاجتماعية، وإنه ضمان لأمن المجتمع وسلامه أيضا.

لا يسعني تناول جميع الأمور في هذا الوقت، فقد ذكرت بعضها، وأقتصر على أمر آخر نبهنا الله تعالى إليه وهو ضروري جدًّا لديننا وإيماننا ولنيل رضى الله تعالى؛ وهو الوفاء بالعهود. ولقد قطعنا عهداً في هذا العصر بدخولنا في بيعة المسيح الموعود، ومن واجبنا الوفاء بهذا العهد، ويؤدي تحقيقه إلى نيل قرب الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٧)، فمن أعظم علامات المتقي أنه يوفي بعهوده. ولقد أنذر النبي ﷺ الناقضَ لعهده إنذاراً شديداً. ولقد ورد في حديث ذكر بعض السيئات التي تجعل أحداً منافقًا وأحدها عدم الوفاء بالعهد. قال النبي ﷺ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا. ثم ذكر النبي ﷺ هذه الأمور الأربعة وأحدها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وثانيها: وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وثالثها: وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، ورابعها: وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

فإنه لمقام خوف كبير، وهناك حاجة لمحاسبة أنفسنا، وضرورة استعراض معاهداتنا وعهودنا وعهد البيعة أيضا بكل دقة لنعرف مدى التزامنا بها عند كل مرحلة، ولندرك إلى أي مدى نفي بوعودنا في تجاراتنا وأشغالنا اليومية. ومن لا يفي بوعوده يكذبْ أيضا، إذ نقوم يوميًّا بإعطاء وعود جديدة وننقضها. والذين يخونون أماناتهم وينقضون عهودهم يستعدون للمخاصمات والمشاحنات عندما لا يفون بعهودهم. تُرفع القضايا إلى المحاكم وإلى دار القضاء، لأن الناس لا يراعون عهودهم وأماناتهم ثم يكذبون لإنقاذ أنفسهم، ثم يقومون بإعطاء وعود على وعود لتبقى هذه القضايا معلقة ولا يتم البت فيها، إن مثل هؤلاء الناس منافقون عند النبي ﷺ. وبعد قراره هذا لسنا بحاجة إلى فتوى أحد غيره.

إن ما ندَّعي بعقد عهد بيعة المسيح الموعود عليه السلام علينا أن نفحص هل نحن نوفي بهذا العهد سالكين دروب التقوى أم لا؟ إذا كان جوابنا بالنفي فإن الله تعالى يقول أنه لا يحب ناقضي العهد من هذا القبيل، لأنهم لا يتقون. إذا تأملنا فلن نجد طريقا آخر سوى أن نقلع عن كل سيئة متبرئين منها، ونسعى للسلوك على مسالك البر والتقوى. فقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن الوفاء بالعهود: لقد سمى الله تعالى التقوى في القرآن المجيد باللباس، و﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مصطلح قرآني، ففي ذلك إشارة إلى أن الزينة

الروحانية والحسن الروحاني إنما يتيسر بالتقوى فقط. والمراد من التقوى أن يراعي المرء جميع أماناتِ الله والعهودِ الإيمانية، ويراعي أيضا جميعَ أمانات المخلوق وعهودهم قدر المستطاع. أي يجب أن يستعرضها بدقة لكي يعمل بها، فالعهود هي الأمانات. فإنما الإيفاء بجميع عهود الله لعباده وتأدية الأمانات يسيِّر المرء على الطرق الحقيقية للتقوى.

وقال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر:

ما أسعد أولئك الذين ينقُّون قلوبهم ويغسلونها من كل أنواع الأوساخ ويعقدون عهد الوفاء مع ربهم، فلن يضيَّعوا أبدا. فمن المستحيل أن يخزيهم الله، لأنهم لله وهو سبحانه وتعالى لهم. فسوف ينجَون من كل بلاء. فما أعظم حظ أولئك الذين ينقون قلوبهم مدركين هذه الحقيقة ويلوذون بربهم.

لقد عقدنا عهدا مع المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر بمبايعته، وهذا العهد في الحقيقة مع الله من خلال بيعته عليه السلام، حيث نعلن بأننا مستعدون لإحداث الانقلاب في نفوسنا بعد بيعة مبعوثك ومستعدون لتقديم كل تضحية من أجل ذلك. فنعاهد بالتخلي عن المطامع المادية والمغريات الدنيوية، ونعاهد ملء قلوبنا بالتقوى.

فكل أحمدي بحاجة إلى أن يفحص نفسه بهذا التفكير ويجب أن يفحص. فعهد البيعة ليس عهدا بسيطا، كلا بل هو عهد بيع أنفسنا. فهل قد بعنا أنفسنا في الحقيقة، وإن كان جوابنا بالنفي فلم نحرز حتى الآن معايير التقوى التي يتحتم على المؤمن أن ينالها. وإذا أدينا حق البيعة فسوف نرى عن قريب حدوث انقلاب في العالم. لكنني لاحظت أن بعض الناس يردُّون أقوال خليفة الوقت أيضا إذا لم تعجبهم، ناهيك عن الإيفاء بعهد البيعة. فقد تكلمت في خيمة النساء في الجلسة السنوية الماضية في بريطانية عن حقوق المرأة، وعلمت أن أفراد بعض العائلات قالوا عني من أين جاء بهذه الفتاوى؟ مع أن الأمور التي تكلمت عنها كانت مستمدة من القرآن والحديث وتعليم المسيح الموعود عليه السلام وفي ضوء ذلك بينت ما هي حقوق المرأة؟ فأنى لهؤلاء الذين يكنون الاختلاف أن يؤدوا حق البيعة؟ لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مبينًا حقيقة البيعة:

ينبغي أن يعلم المرء ما هي فائدة البيعة، ولماذا نحتاج إليها، لأنه ما لم يعرف فائدة الشيء وقيمته لا ينظر إليه بتقدير. فمثلا توجد في بيته أنواع المقتنيات والأثاث من دينار ودرهم وفلس وخشب وغيرها، وهو يعتني بالشيء وفق قدره وقيمته، فلا يعتني بالفلس بقدر ما يعتني بالدرهم والدينار، أما الخشب وما شابهه من أشياء فيلقيه في زاوية من البيت غير مهتم به. باختصار، كل ما كان في ضياعه خسارة أكبر حفِظه أكثر. كذلك فإن أفضل ما في البيعة هو التوبة، ومعناها الرجوع، فالتوبة هي أن يهجر الإنسان معاصيه التي قد ازداد كَلَفًا وتعلقًا بها واتخذها وطنًا له وكأنه يعيش فيها. فالتوبة هنا تعني أن يهجر وطنه هذا، (أي ترك الذنوب)، أما الرجوع فمعناه أن يتطهّر. ومعلوم أن ترك الوطن يشقّ على المرء جدا، (فهو أمر

جلل لا يستهان به) فحين يهاجر من بيته يتكبد المرء آلاف المشاكل. أما عند الهجرة من وطنه فيضطر لقطع صلته عن أحبابه ومعارفه كلهم، تاركًا وراءه كل شيء من سرير ودار وفِناء وجار وسكك وزقاق وأسواق، ويأتي إلى بلد جديد، أعني أنه لا يرجع بعده إلى وطنه الأول أبدا. هذا هو مفهوم التوبة. (فالتوبة هي التخلي نهائيا عن الشيء السابق، كما يهاجر المرء من بلد إلى آخر). فإن أصدقاء المعصية غيرُ أصدقاء التقوى، وقد سمى الصوفية هذا التغير موتا. التائب يتكبد خسائر كبيرة، ويواجه حرجًا كبيرا عند التوبة الصادقة، ولكن الله رحيم كريم، فلا يتوفى عبدَه التائب ما لم يمنّ عليه بنعم البدل من كل هذه الخسائر. (أي حين يقدم المرء هذه التضحية الجسيمة يمن الله أيضا عليه بفضل عظيم) وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾، أي أن التائب يصبح بتوبته فقيرا عديم الحيلة، ولذلك يحبه الله ويُدخله في زمرة الصالحين. إن الأمم الأخرى لا تؤمن بكون الله رحيما وكريما، فإن النصارى جعلوا الله تعالى ظالمـًا والابن رحيما، إذ لم يغفر الأب إثم البشر ولكن الابن فداهم بموته، وهذا الفرق الشاسع الذي جعلوه بين الأب والابن لحماقة كبيرة منهم، ذلك أن الوالد والمولود يتشابهان خُلقًا وعادةً، ولكنا لا نجد هذا التشابه هنا مطلقا. والحق أنه لولا أن الله رحمان لما عاش الإنسان لحظة واحدة. فمَن خلق آلاف الأشياء النافعة للإنسان قبل عمله، فهل يُظن أنه لن يقبل التوبة والعمل. (فمن المؤكد أن الله ﷻ يتقبل التوبة والعمل الحسن).

إذن انهضوا من هنا اليوم عاقدين العزم على أنكم ستسعون جاهدين لأداء حق البيعة، وتؤدون حق التوبة بحيث تتوبون إليه تماما، لكي نعدّ من محبي الله ﷻ.

في الأخير أقدم لكم مقتبسا آخر من كلام المسيح الموعود عليه السلام لنرى ما هي معايير التقوى التي كان عليه السلام يريد أن نحرزها. فقال:

"ولْيَشهدْ لكم كلُّ صباح أنكم بِتُم الليلةَ أتقياءَ، ولْيشهدْ لكم كلُّ مساء أنكم قضيتم النهار خائفين. لا تخافوا لعنات الدنيا، فإنها لا تلبث أن تتبخّر كالدخان، ولا تستطيع أن تحوِّل النهار ليلاً، بل خافوا لعنة الله التي تنزل من السماء وتقطع دابرَ مَن تحلّ به في الدارَين.

لن تنجوا بأنفسكم بالرياء، لأن الله الذي هو إلهكم بصير بما في قلوب العباد، فهل تستطيعون أن تخدعوه؟ فاستقيموا وتَطهّروا وتَزكّوا وأخلِصوا. لو بقيتْ فيكم ذرة من الظلمة فسوف تذهب بنوركم كله، ولو كان فيكم كبرٌ أو رياءٌ أو عُجْب أو كسل بشكل من الأشكال فلستم بشيء يليق بالقبول. حذارِ أن تنخدعوا ببعض ما حققتم من الأمور فتظنوا أنكم قد حقّقتم به ما عليكم، ذلك أنَّ الله يريد أن يحدُث في أنفسكم انقلاب تام، ويريد منكم موتًا سيحييكم بعده. سارِعوا إلى التصالح فيما بينكم، وأقيلوا عثراتِ إخوانكم، فشريرٌ ذلك الذي لا يرضى بمصالحة أخيه، ولسوف يُقطَع، إذ يُحدث الفُرقة. تَخلَّوا عن أنانيتكم مِن كل وجه، ولا تباغضوا، وتذلّلوا ذلّةَ الكاذب وأنتم صادقون لكي يُغفر لكم، واتركوا

تسمين النفس لأنّ الإنسان السمين لا يقدر على الدخول من الباب الذي نوديتم إليه. كم هو شقيٌّ ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بهذه الكلمات التي خرجتْ من فم الله فبيّنتُها."

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لإحراز هذه المعايير للتقوى، حيث لا تكون أقوالنا كلاما فقط، بل يجب أن يرى العالم أن هؤلاء يعملون بحسب ما يقولون، وأنهم يؤْثرون مرضاة الله على كل أمورهم، وأنهم يستجيبون لأوامر الله ﷻ. إذا كانت هذه الأمور تفصح للآخرين عن حقيقة الإسلام ففي الوقت نفسه ستخلق في بيوتنا السكينة أيضا، وتُصلح أجيالنا وتحسِّن عقباهم، وفقنا الله ﷻ لنكون أحمديين حقيقيين بحسب ما كان يتمنى المسيح الموعود عليه السلام. تعالوا ندع الآن.